Journal Of the Iraqia University (73-1) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

التشبيهُ فعلاً كلامياً في قصيدة يا دجلَة الخير للجواهري

م.د رنا خليل علي
مديرية تربية ديالى

Simile as a Speech Act in Al-Jawahiri's Poem "Ya Dijlat al-Khair"

M.D Rana Khalil Ali
Diyala Education Directorate

ملخص البحث

يقع البحث تحت عنوان (التشبيهُ فعلاً كلامياً في قصيدة يا دجلَة الخير للجواهري). ويهدف البحث إلى الكشف عن الأغراض الإنجازية التي حملها التشبيه في قصيدة يا دجلة الخير.تكمن أهميته في تقديم قراءة لشعر الجواهري تبيَّن تنَّوع الأحداث الكلامية، وتنوّع المخاطبين، واختلاف مقامات مخاطبتهم، فتناولتُ القصيدة بالتحليل، والتأويل بما منحته لي نظرية الفعل الكلامي من بعدٍ واسعٍ في قراءة النصوص والكشف عن الدرر المكنونة فيها.قسَّمت البحثَ على مقدمةٍ وثلاثة مباحث، فالمقدّمة تعدُ وصفاً لما جاء في المباحث الثلاثة، أمّا المبحث الأول فجاء عن (مفهوم التشبيه، والأغراض الإنجازية للتشبيه بالمصدر)، والمبحث الثاني عن (الأغراض الإنجازية للتشبيه البليغ)، والمبحث الثالث فجاء عن (الأغراض الإنجازية للتشبيه بالأداة)، ثم تلتهم الخاتمة، لتبيّن نتائج البحث ومنها: تنوّع الأغراض الإنجازية المتأنية من الأفعال الكلامية للتشبيه، بسبب تنوّع مقاصد الجواهري، فأفصحت عن رسالته القيّمة إلى متلقيه، فقد ورد في ستةٍ وعشرين موضعاً من القصيدة وأثبت فاعليته في التأثير في متلقيه. الكلمات المفتاحية: التشبيه، الأغراض الانجازية ، فعل الكلام

Research Summary
This research is titled "Simile as a Speech Act in Al-Jawahiri's Poem "Ya Dijlat al-Khair" (Ya Dijlat al-Khair.(It aims to uncover the performative purposes of simile in "Ya Dijlat al-Khair" (Ya Dijlat al-Khair.(Its importance lies in offering a reading of Al-Jawahiri's poetry that demonstrates the diversity of speech events, the diversity of addressees, and the different positions they are addressed in. I analyzed and interpreted the poem, using the broad perspectives that speech act theory provides for reading texts and uncovering hidden gems within them. I divided the research into an introduction and three sections. The introduction is a description of what was mentioned in the three sections. The first section was about (the concept of simile and the performative purposes of simile with the source), the second section was about (the performative purposes of eloquent simile), and the third section was about (the performative purposes of simile with the tool). Then I came to the conclusion, to show the results of the research, including: the diversity of the deliberate performative purposes of the speech acts of simile, due to the diversity of Al-Jawahiri's purposes, so it revealed his valuable message to his recipient, as it appeared in twenty-six places in the poem and proved its effectiveness in influencing its recipient
Keywords: Simile, Performative Purposes, Speech Act, Dijlat al-Khair, Al-Jawahiri's.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيّد رُسلّ الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.أمَّا بعد:إنَّ علم اللغة التداولي هو أحدث العلوم اللغوية، وقد انبثقت منه نظرياتٍ استطاع الباحثون من خلالها دراسة النصوص اللغوية العالية، وبيان ما تحمله من قيمٍ نبيلة باستطاعتها تغيير حال الإنسانية للأقوم.جاء الموضوع تحت عنوان (التَّشبيه فعلاً كلاميًّا في قصيدة يا دجلة الخير للجواهري)، من أجل الكشف عن الأغراض الإنجازية في شعر الجواهري، وبيان الهدف من مجيئها، ونقل رسالة الجواهري السامية إلى متلقي شعره.قسمت البحث على ثلاثة مباحث تبعاً لنوع التشبيه فيها، تتقدمهم مقدمة تبيَّن فحوى هذه المباحث، فكان المبحث الأول عن (مفهوم التشبيه، والأغراض الإنجازية للتشبيه بالمصدر)، أمّا المبحث الثاني

فجاء (الأغراض الإنجازيَّة للتشبيه البليغ)، وكان المبحث الثالث عن (الأغراض الإنجازية للتشبيه بالأداة)، ثم جاءت الخاتمة حاملة نتائج البحث.استعنت في كتابة بحثي على مصادر لعلَّ من أهمها: ديوان الجواهري، وإنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل، والتصوير المجازي – أنماطه ودلالته في مشاهد يوم القيامة، د. إياد عبد الودود عثمان) وغيرها من كتب اللغة القيّمة.

المبحث الأول في مفهوم التشبيه والأغراض الإنجازية للتشبيه بالمصدر

أولاً: مفهوم التشبيه:في اللغة، ورد في المعجمات دالاً على معانٍ عدة منها اللَّبسُ والتمثيل (لسان العرب (شبه): ٥٠٥/١٣)وفي الاصطلاح: عرَّفه المبرِّد (ت ٢٨٥هـ) بقوله: ((أعلم أنَّ للتشبيه حدَّاً، لأنَّ الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، فإنَّما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنَّما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والاحراق، قال الله جلَّ وعز: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ }(الصافات: ٤٩)، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه)) (الكامل في اللغة والأدب: ٥٢/٣)، ويُعرف أنَّه: ((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفةٍ، أو أكثر بأداةٍ، لغرض يقصده المتكلم)) (جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي: ٢٤٧)يؤدي التشبيه دوراً هاماً في توجيه المعنى على وفق مقاصد القائل، لذا فهو له أثرٌ عظيم في رسم أحداث كلامية يتطلَّبها سياق الموقف الكلامي.وللتشبيه قيمة فنية عند وروده في الشعر ذكرها قدامة بن جعفر بقوله: ((وأمَّا التشبيه، فهو من أشرف كلام العرب، ومنه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلَّما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف، كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق، كان بالحذف أليق)) (نقد الشعر: ٥٨-٥٩).

ثانياً: الأغراض الإنجازية للتشبيه بالمصدر

يرى ابن الأثير (ت هـ) أنَّ التشبيه بالمصدر هو أحد المحاسن التي يتمتع بها التشبيه، (ينظر: المثل السائد: ١٣٢/٢). وليس ثمة اختلاف بين هذا الرأي ورأي النقاد المعاصرين والجمال عندهم هو المحدَّد لقيمة الصورة (ينظر: المجمل في فلسفة الفن، كروتشة: ٧٥)، وقد وردَ هذا النوع من التشبيه في تسعة مواضع في القصيدة منها بقوله (الديوان: ٨٣/٥)

حييتُ سفحك ضمآنًا ألوذ به لوذَ الحمائم بين الماء والطين

يخاطب الشاعر في هذا البيت سفح نهر دجلة العظيم، وهو من أشهر المعالم الطبيعية في أرض العراق، وجعل من السفح شخصاً حيّاً استساغَ الحديث معه، ولاذَ به كما تلوذ الحمائم به في رقّةٍ وضعفٍ.فالفعل القولي (ألوذُ به لوذَ الحمائم) وهو فعل كلام يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي الشوق والحنين، فالفعل المؤكَّد هو أَلوذُ، والمصدر منه لوذ، فمنح الفعل عمقاً دلالياً وتأويلياً لمعناه حينما أضافه الشاعر إلى الحمائم، فالتشبيه ابتدع ((النقل والشعور ... من نفسٍ إلى نفسٍ)) (اللغة الشاعرة، عباس محمود والعقاد: ١٧٩)الفعل التأثيري المرتجى هو توجيه المتلقين لهذا الشعر إلى التمسك بأوطانهم، وأنْ لا ينسيهم البعد عنه حبَّهم العميق لوطنهم. وفي قوله: (الديوان: ٩٧/٥)

بل قد مشت لك كالأصباح عابقةً

وأنت تحذرها حذر الطواعينِ

هنا يخاطب الجواهري زعيم مدارس الأدب والنقد في عصر بفعل القول (تحذرها حذرها الطواعين)، وهو جملة فعلية فعلها مضارع، ويحمل قوة إنجازية هي: التقرير فالتقدير: أُقرُّ بحذرك من دواويني، مشبّهاً حذره منها كحذره من مرض الطاعون في التوقي والخوف منه.الفعل التأثيري المرتجى من هذا الفعل الكلامي هو توجيه المخاطب إلى الكف عن نقد شعر الجواهري العريق.أمَّا قوله: (المصدر نفسه: ٨٣/٥).

وأنتَ يا قارباً تلوي الرياحُ به ليَّ النسائمِ أطرافَ الأفانين

خاطب الجواهري هنا القارب العائم في نهر دجلة، فورد فعل القول: (تلوي الرياح به لي النسائم) وهو فعل كلام قوته الإنجازية غير مباشرة في الوصف، فالتقدير: أصفُ جمال حركتِكَ.فقد شبَّه الشاعر حركة القارب في نهر دجلة بحركة اطراف الأفانين بسبب النسيم في جمالها الحركي، فارتبط المصدر بالحركة وهذا الملمح الأسلوبي نجده واضحاً في شعر الجواهري فالصورة المتأنية وصفية.الفعل التأثيري المرتجى هو لفت انتباه المتلقي إلى جمالية نهر دجلة وما يحويه، ودعوته للتبحُّر في أبسط تفاصيله.ونحو قوله: (الديوان: ٩٣/٥)

والراهنات بجسمي ينتبشنَ به

نبشَ الهوامِ ضريحاً كُلَّ مدفونِ

في هذا البيت يتحدَّث الشاعر مع نهر دجلة مضيفاً عليه صفة التشخيص والتجسيم فجعل من هذا النهر شخصاً يجري حديثه معه، فورد فعل القول: (ينتبشنَ نبش الهوام) وهو فعل كلامي وقوته الإنجازية الشكوى، فالشاعر شكى إلى النهر ظروفهِ الراهنة وهو في الغربةِ تؤذيه وتحطّم كل كيانَه، فشبَّه تلك الظروف وأذيتها بالهوام النابشة لقبور الموتى الذين لا حول لهم ولا قوة على مجابهة شدتها وصرامتها، لذا فتقدير القوة هو: أشكو إليك.رسم التشبيه بالمصدر صورةً حقيقية لمعاناة الشاعر بعيدةً عن عنصر التخييل؛ لذا فالفعل التأثيري المرجو هو حمل متلقي النص كل من يقرأ أو يسمع شعره – على التعاطف مع الشاعر والتخفيف من ألمه.وقوله: (المصدر نفسه: ٩٢/٥).

جنباً إلى جنبٍ آلامٍ أُقطّفها قطفَ الجياعِ جنى اللذات يزهوني

هنا خطابه أيضاً مع النهر شاكياً له فجاء فعل القول: (أُقطّفها قطفَ الجياع)، فهذا الفعل الكلامي قوته الإنجازية مباشرة هي: الإخبار، وتقديرها: أُخبِرُك بآلامي فشبه الشاعر ما يجنيهِ في أيامه من الآلام، والتي اصبح يلتذ بها، لشدة شوقه إلى نهر دجلة، بلذةِ الجياع وشوقهم إلى الطعام وإلى ما يسد جوعهم.الفعل التأثيري هو حمل المتلقي على مشاركة الشاعر ألم فراقه لوطنه، وألم غربته وبعده عن موطنه، وهذا أتضح من خلال الصورة التي رسمها التشبيه بالمصدر فهي صورة باهتة لا تخييل فيها. وفي قوله: (الديوان: ٩٤/٥).

سهرتُ ليلَ أخي ذبيان أحضنه حضنَ الرواضع بين العتّ واللينِ

يكمل الشاعر حديثه مع نهر دجلة، فهو المخاطب، مبيناً له أنَّ السهر والليل أصبحا مؤنسين له ففعل القول: (أحضنه حضن الرواضع)، وهو فعل كلامي وقوته الإنجازية مباشرة هي الأخبار، فالتقدير: أُخبركَ بأحتضاني للسهر ليلاً فالشاعر يعاني بذلك خواطره الشعرية، فشبّه احتضانه باحتضان الرواضع في الحرص والحماية، فالشعر عند الجواهري من أغلى ما يملك؛ لذا أخذت الصورة بهذا التشبيه هنا طابعاً تقريرياً تبعاً لطابعها الدلالي.الفعل التأثيري هو لفت أنتباه كل من يتلقى نصه على حرص الشاعر وتفانيه في نتاجه الشعري.ونحو قوله: (المصدر نفسه: ٩٠/٥)

يا دجلة الخير خلّي الموجَ مرتفعاً طيفاً يمرُّ وإنْ بعضُ الأحايينِ

يُصرح الشاعر هنا لمن يُحادثه وهو (دجلة الخير)، فيطلب إبقاء النهر عامراً بأمواجه الجميلة، لعلّ عبقها يصل إلى روحه حتى في الطيف فيغمره ولو لفترة قصيرةٍ، ففعل القول (خلي الموج طيفاً) وهو الفعل الكلامي يحمل قوة إنجازية غير مباشرة وهي التمني: والتقدير: أتمنى أنْ يكون الموج كالطيف في غمره وفي قصر رؤيته فهو يفي بالغرض المرجو منه وهو التخفيف من حرقة الشوق التي يعيشها. الفعل التأثيري المرجو من كلّ قارئ للنصِ أو سامع له على هو التمسك بوطنه وأن يكن لوطنه مشاعراً صادقةً. وفي قوله: (الديوان: ٩٥/٥).

صناجة الأدب الغالي وكم حقبٍ بها المواهب سميت سوم مغبونِ

الشاعر يوجه خطابه إلى أحد نقاد عصره، أسماه بـ (صناجة الأدب)، ويبين له من خلال الفعل الكلامي (المواهب سيمت سوم مغبون) وهو فعل قول، وقوته الانجازية مباشرة هي الإخبار، أنَّ مواهب الشاعر الكبير في عصره توسمت بالغبن من قبل النقّاد، فشبّه ما توسمت به المواهب بما يتوسم المغبون، والتقدير: أخبرك بغبن مواهبي. الفعل التأثيري المرجو هو حمل من يتصدى لنقد الشعر على العدالة والمنطقية والابتعاد عن أهواء النفس؛ ليجنب بذلك نفسه ظلم الشعراء، فالشعراء على مرَّ الزمان تعرض بعضهم إلى غبن الحقوقِ.وقوله: (المصدر نفسه: ١٠٦/٥)

ويا ضجيعي كثرى أعمّى يلفهما لفَّ الحبيبينِ في مطمورةٍ دونِ

هنا يخاطب متلقيه، ويخبره عن حال أعز مخلوقين على قلب الشاعر وما آل إليه مصيرهما وهو قبرهما الحزين في المقبرة، فجاء فعل الكلام (يلفهما لفُّ الحبيبين)، وهو يحمل قوة إنجازية الشكوى ، فالشاعر عمد إلى جعل نغم البيت يتصاعد صارخاً بحزنٍ شاكيا فقد الأحبة، فالتقدير: أشكو فقد أحبتي، فهذه قوة إنجازية غير مباشرة خرج إليها التشبيه ليبين بالمصدر، ونلحظ خطاب الشاعر (يا ضجيعيّ)، فزاد من مأساة الشاعر، وأثقل حزنه.

ثالثاً: الأغراض الإنجازية للتشبيه بالمصدر المؤوَّل:

إنَّ ترابط العناصر البلاغية الكامنة في التشبيه بالمصدر المؤوَّل تشكلُ ميداناً خصباً يعطي دلالات خاصةٍ (ينظر: التصوير المجازي – أنماطه ودلالته في مشاهد يوم القيامة، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني: ٣٤، ٢٠٠٤م) وهذا يتَحصَّلُ عندما تأتي (ما) المصدرية ملتحمةً مع الكاف، فقد وردت في ثلاثةِ مواضع في القصيدة فأعطت أحداثاً كلاميَّةً تختبئ بداخلها قوى إنجازيَّةٍ ومن ذلك قول الشاعر: (الديوان:٨٥/٥)

الضارعين بأقدار تحلُّ بهم كما تلوّى ببطنِ الحوتِ ذو النونِ

يتكلم الجواهري مع نهر دجلة، ويخبره بحال أبناء العراق، ويبيّن مقاساتهم لأقدار عيشهم الصعب، وقد شبَّه ما لاقوه من أذى، بأذى النبي يونس (عليه السلام) وهو في بطن الحوت، ولا يملك لنفسه حولاً ولا قوةً، فجاء الفعل الكلامي (كما تلوّى) بقوةٍ إنجازية غير مباشرة هي الشكوى، فالتقدير: أشكو ما يلقاه أبناء وطني من أذى، فالفعل القولي المتأني من التشبيه رسم مشهداً عن (الضارعين)، وعن (ذو النون) فوجه الشبه بينهما هو تلقى المعاناة، لذا شكى الشاعر من هذا الأمر.الفعل التأثيري المرجو هو حمل المتلقي على الإحساس بمعاناة أبناء وطنه ومناصرتهم في القول والفعل. وقوله: (الديوان: ٩٨/٥)

إنَّ المصائبَ طوعاً أو كراهيةً أعدتَ نحتي كما أبدعن تلويني

في حديث الشاعر هنا مع دجلة الخير، نلحظه يشتكي من تغير حاله، بسبب ما حَلَّ به من نوائب وهو في الغربة، فالنأي أحد تلك المصائب، لذا جاء الفعل الكلامي من فعل القول: (كما أبدعن تلويني) بقوةٍ إنجازية غير مباشرةٍ هي الشكوى فالتقدير: أشكو تغير حالي وما آل إليه من تبديل لوني وضعفي.الفعل التأثيري المرجو هو لفت أنتباه كل من يقرأ أو يسمع هذا البيت وإشعاره بالجو النفسي المتأزم للشاعر، وقد أسهم السياق في تقدير قوة الحدث الكلامي وفعله التأثيري.فنحت الجسم وذوبانه وذهاب وهجته وتردي بدنه وتغيُّر لونه كلها أحداث صيّرتها إليه مصائب الدهر، فوجه الشبه بينها هو تغير الحال من الصحة إلى السقم ومن القوة إلى الضعف، فالتشبيه يقع بين ((شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها، وٱفتراق في أشياء ينفرد بها كل واحدٍ منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فاحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها)) (نقد الشعر، لقدامة بن جعفر : ١٢٢، ت ٣٣٧هـ) وقوله (الديوان: ١٠١/٥)

أم خولطت فيه أوهامٌ وأخليةٌ كما تخالطت الألوانُ في الحوت

في ضوء حديث الشاعر مع مخاطبه (نهر دجلة)، يتحدث معه عن ٱختلاط الشك بالقين حول بعض حقائق الحياة، كما اختلط اللون الأبيض بالأسود على وجه اللبس في الحوت أي اجتماع الأضداد بالنفس، بسبب صعوبة وقساوة الحياة، فورد فعل الكلام (كما تخالطت الألوان، وهو يحمل قوة إنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير أخبرُ عن تشابك وغموض الأمور، فهذا الأمر يُعدَّ مشكلة فٱختلاط الحقيقة بالشك يسبب نزاع نفسي وتفكيك للأواصر والابتعاد عن حقائق الأشياء الجميَّلة.الفعل التأثيري المرجو هو توجيه المتلقي للاستبصار بحقائق الأمور ودفع الشك والغموض والوهم عنه.

المبحث الثاني الأغراض الإنجازية للتشبيه البليغ

تُعدُّ صناعة الصور أحد السُبل لإخراج المعنى أي إنَّما تُعنى بتنظيم مستويات التعبير الأخرى وتوظفها لتباينه وإيضاحه (ينظر: فن الشعر ورهان اللغة بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، د. احمد حيزم: ٢٥٣، ٢٠٠١م)، ، وللتشبيه البليغ ثمانية مواضع ورد فيها وعلى النحو الآتي: في قول الشاعر: (الديوان: ٥/٩٣)

لا يولدُ المرءُ لاهيًرا ولا سَبُعاً لكن عِصارةَ تجريبٍ وتلقينِ

هُنا الشاعر يقرُّ لمتلقيه بحقيقة ولادة الإنسان على الفطرة السليمة التي لا أذى للناس فيها، فورد الفعل الكلامي (لا هِرَّ ولا سَبُعاً لكن عِصارةَ تجريب)، وهو فعل القول يحمل قوةً إنجازيةً مباشرة هي الإخبار، والتقدير: أُخبرُك بفطرة الإنسان النقية، وإنَّ من يُغيرها هو التجريب والتلقين.الهدف التأثيري المرجو هو توجيه المتلقي إلى خوض التجارب التي تبعدهُ عن الجُبُن، وأنْ يرتقي بنفسه بأعلى مراتب البطولة، من خلال خوض التجارب الشجاعة وتلقيه القصص البطولية وبعث روح القوة والتضحية في نفسه.في هذا البيت عادت المشبهات المنفية على مشبهٍ به واحدٍ بصورةٍ موجزةٍ ٱختزلت فيها الفكرة.وقوله (الديوان: ٥/٩٣)

أجرّه الشوك ألفاظٌ مُرَصَّفةٌ أجرّها الشوكَ سجعٌ شبه موزونِ

يتحدث مع (دجلة الخير) عن الشعر ويذم الشعر المصنوع المتكلف، فجاء فعل الكلام (ألفاظ مرصّفةُ... سجعٌ شبه موزون)، وهذا فعل القول فحمل هذا الفعل قوة إنجازية غير مباشرة هي الذم، فالتقدير: أذمُّ الشعر المكلف المصنوع بالنعت وبالإسفاف، فشبّه ألفاظ هذا الشعر بالسجع شبه الموزون. الفعل التأثيري المرجو هو توجيه من يستمع له من الشعراء على الإجادة في الشعر، والابتعاد عن الشعر المتكلف.ويُلحظُ حذف وجه الشبه والأداة فرسم التشبيه صورة أبلغ في إيصال المعنى، لذا عدَّه ابن رشيق القيرواني من ((محاسن الكلام داخلة تحت المجاز)) (العمدة: ١/٢٣٦ – ٢٣٧). وقوله: (الديوان: ٥/٩٤)

حتى إذا أضَ ريّانُ الصبا غَضِراً مهوى قلوب الحسان الغُّرد العين

يُحدّث الشاعر دجلة الخير ويخبرها بجهده وهو ينتج أجود الشعر حتى يجعله مكتملاً فورد الفعل الكلامي (غَضِراً) يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي الفخر، فالتقدير: افتخر بجعل شعري تاماً، فأسهم سياق المقال هنا في الكشفِ عن قوته الإنجازية.فشبّه الشاعر اكتمال شعره بزهو الأشجار، وٱستوائه بما تهواه القلوب الحسان، ووجه الشبه بينهما هو النضج والجمال، فأعطى الفعل الكلامي صورةً موجزةً وتامةً عن شعر الجواهري.
وقوله: (المصدر نفسه: ٥/٩٥)

ماذا سوى مثل ما لاقيت تأمله شُمُّ العراشين من جَذْعِ العراينينِ

هنا يجريُ الشاعر حديثاً مع مخاطبه الذي أعطاه صفة التشخيص (دجلة الخير)، ويخبره بما لاقاه من مصاعب وتحدياتٍ، فورد الفعل الكلامي (ما لاقيت...شم العرانين من جدعِ العرانينِ)، وهو يحمل قوة إنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير أُخبرُك.الفعل التأثيري المرجو هو توجيه المتلقي إلى ٱجتياز الأخطار وتحدي المصاعب للوصول إلى الهدف سيراً بذلك على نهج أصحاب العزة والكرامة، فقد شبه ما تعرَّض له في حياته، بما لاقاه أصحاب العظمة من تحدياتٍ فبيَّن التشبيه هنا طبيعة الجو النفسي الذي يمرُّ به الشاعر وفي قوله (الديوان: ٥/١٠)

تلكم هي العمرُ ومضٌ من سني عدمٍ

ينصبُّ عدمٍ في الغيبِ مكنون

يتكلم الشاعر عن العمر، وشبَّهه بالومض في سرعة انعدامه فورد الفعل الكلامي (العمرُ ومضٌ) وهو جملة اسمية، وقوته الإنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير: أُخبرك بقصر العمر وانعدامه، وقد أسهم سياق المقال في بيان القوة الإنجازية.الفعل التأثيري المرجو من توجيه المتلقي إلى استثمار فرص الحياة والمثابرة وعدم إضاعة هذا العمر القصير بالأمور غير المهمة والعجز. وقوله (المصدر نفسه: ١٠٤/٥)

عشُّ الأهازيج من سجعي يرددها

سجعُ الحمام ترجيع الطواحينِ

في حديث شوق الشاعر لنهر دجلة، يذكره ويشبّهه بسجع الحمام وبترجيح الطواحين في العذوبة فورد الفعل الكلامي (سجعي يرددها بسجع الحمام...) هو فعل قول وهو يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي التَّلذُّذِ، فالتقدير: أتلذَّذُ بالحديثِ عن دجلة.الفعل التأثيري المرجو هو لفت انتباه المتلقي إلى جمال نهر دجلة وحثه على الاعتزاز بمعالم وطنه الطبيعية كونها ترمز إلى الوطن.يُلحظُ تعدُّد المشبّه به دون المشبّه من أجل رسم صورة ذات نغمٍ جميلٍ تعطي للمتلقي الإحساس بالجمال والسحر الذي تحمله دجلة الخير. قوله: (الديوان: ١٠٦/٥)

ويا نسائمُ إصباحٍ تُصفّقُ لي

ندى الغصون بليلاتٍ وتسقيني

يخاطب الشاعر داره في العراق، فورد الفعل القولي (تصفّقُ لي... تسقيني) وهو فعل كلامي يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي المدح، فالشاعر يرى أنّ داره معبر النسائم وكانت مصدر طاقة دافعة للشاعر نحو الإبداع تحييه وتسقيه من حنانها، فالشاعر يرى أنّ منزلة وطن.الفعل التأثيري المرجو هو توجيه المتلقين لشعره على الاعتزاز بالأوطان فالدار فيها مصدر بهجةٍ وتمدُّ ساكنها بالخيرات.وقوله: (المصدر نفسه: ١٠٧/٥)

لم أقوَ صبراً على سجو يرمضني حران في قفص الأضلاع مسجونِ

يتحدَّث الشاعر مع مخاطبه ويشكو له عن مرارة الصبر وعن عدم استطاعته الصبر على الأحزان، لكون الصبر يتركه يتعذَّب، بما حوله من ظروفٍ تُثيرُ في نفسه روح التغيير للواقع المُر فنفسُ الشاعر الأبيّة ترفض السكوت عن هذا الواقع، فورد الفعل الكلامي (حرّان في قفص الأضلاع)، وهو يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي الشكوى، فالتقدير: أشكو مرارة الصبر على المكاره.الفعل التأثيري المرجو هو توجيه كل من يتلقى نصه إلى ضرورة رفض الواقع المرير والخضوع للذل.

المبحث الثالث/التشبيه بالأداة

تؤدّي الأداة دورها في انعقاد صلة بين شيئين متكافئين دلالياً، مقيدين بسياقٍ (ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود محمد: ٥٧).استعمل الجواهري في قصيدةِ هذهِ وسائط التشبيه التقليدية سائراً بذلك على خطى شعراء العربية القدماء فاستعمل (الكاف)، و (كأنَّ)، و (مثل)، و (شبه) وجاءت الأحداث الكلامية معاها متنوّعة، لتتوّع سياق المقال تبعاً لمقاصد الجواهري المكنونة فيها؛ لذا سنبيّن الأفعال الكلامية المتأتية من التشبيه بالأدوات وعلى النحو الآتي:

أولاً: الأغراض الإنجازية للتشبيه بالكاف: ورد التشبيه بها في سبعة مواضع في القصيدة وعلى النحو الآتي في قول الشاعر: (الديوان: ٨٤/٥)

تهزني وأُجاريها فتدفعني كالريحُ تُجعلُ في دفع الطواحينِ

يتحدث الشاعر مع مخاطبه عن أحاسيسه وعواطفه، وقد أحال إليهما بالضمير (هاء الغيبة) في الفعل المضارع (أُجاريها) إحالة خارجية وقد شبهها بالريح المحرّكة للطواحين، فجاء فعل القول (تدفعني كالريحُ) وهو فعل كلامي وقوته الإنجازية هي الوصف فالتقدير: أصفُ ما تفعله بي أحساسي نحو وطني، فهي كالريح في قوتها لا تبرح تهزّه هزّاً لا يقدر إلا أنْ يُجاريها، ويندفع تماماً كما تعجّل الرياح في حركة الطواحين، لذا فالفعل الكلامي

في هذا التشبيه قائم على مبدأ التماثل بين العواطف والرياح، فقد أصبحتا عبر التشبيه بالكاف كالشيء الواحد، وبدت الصورة الشعرية ذات طابع محدود، فظلّت الدلالة تعمل بمستوى الشكل. وقوله: (الديوان: ١٠٢/٥)

لعلَّ نجوى تداوي حرَّ أفئدةٍ

الحزازاتُ تغلى كالبراكينِ

الشاعر يرتجي أن تداوي مناجاته لدجلة الخير حرَّ فؤادِهِ، فهي كالبركان في غليانها بصدره، فجاء فعل الكلام (الحزازات تغلي كالبراكين)، فهو فعل قول يحمل قوة إنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير: أخبرُك بمرارة الشوق، فالكاف هنا بمنزلة حسم انتصار الحقيقة على المجاز، لميلها الواضح إلى التقريرية. فالفعل التأثيري المرجو هو لفت نظر كل من يتلقى نصّه إلى الوضعَ النفسي الصعب الذي مر به الشاعر، وحمله على مشاركته مشاعره الوطنية. وقوله: (المصدر نفسه: ٩٤/٥)

والسائرين بشتمي عري سوأتهم كخصفِ حواءَ دوح التوت والتينِ

يوجه الشاعر كلامه إلى دجلة الخير ويخبرها بما صنعه زعماء المدارس الأدبية والنقدية في زمنه من أخطاءٍ لا تُغتفر، فجاء فعل القول (السائرين بشتمي... سوأتهم كخصف حواء)، وهو فعل كلام، وقوته الإنجازية غير مباشرة هي الذم، وتقديرها، أَذِمُّ آراءَكُم.شبّه الشاعر ستر أخطاء النقّاد في عصر بما فعلته حوّاء (عليها السلام) لستر عورتها، ووجه الشبه بينهما هو في الضعف، وهذا النوع من التشبيه يسمى بالتشبيه التمثيلي، فالتشبيه زاد من إيضاح المعنى، وأكسبه التأكيد (ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٢٢٤) وفي قوله: (الديوان: ٩٩/٥)

لكن رأيتُ سماتَ الخير ضائعةً كاللَّثغ بين السين والشين

يشكو الشاعر لمخاطبه (دجلة الخير)، فجاء فعل القول (سمات الخير ضائعةً كاللَّثغ بين السين والشين) وهو فعل كلامي يحمل قوة إنجازية غير مباشرة هي الشكوى، فالتقدير: أشكو ضياع سمات الخير، فقد شبّه الشاعر خصال الخير الضائعة في عصره بضياع لفظ السين صحيحاً في لجَّة انقلاب الصوت بين السين والثاء.الفعل التأثيري المرجو هو كشف حقيقة عصره المتسم بضياع خصال الخير فيه، وتوجيه المتلقي إلى البحث وإلى الوصول وإلى تلك السمات الضائعة.ويُعدُّ التشبيه من الحقيقة كما يرى السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، في حديثه عن علم البيان (ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ١٦٨)، إذ إنّ وجه الشبه بين ضياع السمات واللثغ هو في اللبس والابتعاد عن الصواب، وهذا المعنى هو من مخرجات التشبيه بالكاف وقوله: (الديوان: ١٠١/٥)

حسبي وحسبكما من فرقةٍ وجوًى بلاعجُ ضرمٍ كالجمرِ تكويني

يتحدَّث الشاعر مع حبيبيه اللَّذين فرَّق الموت بينه وبينهما، ويشكو ما أصابه من أثر ذلك الفراق، فورد فعل القول: (حسبي وحسبكما من فرقةٍ وجوًى ... كالجمر) وهو فعل كلام وقوته الإنجازية الشكوى، فالتقدير: أشكو من ألم الفراق والبعد، فشبّه الشاعر ألم الفراق وحرارة قلبه بالجمر من كيّهما له ووجه الشبه هو في شدة الألم ومرارته، وهذا المعنى أفاده التشبيه بالأداة الكاف. والفعل التأثيري المرجو هو توجيه كل من يقرأ أو يسمع شعره إلى ضرورة الحفاظ والاعتزاز بالصحب الكريم حتى في غيابهم.وقوله: (الديوان: ٩٧/٥)

بل قد مشت لك كالأصباحِ عاتقةً وأنت تحذرها حذر الطواعينِ

يخاطب الشاعر زعيم مدارس الأدب والنقد في عصره والذي لم ينصفه، فورد فعل القول (مشَتْ كالأصباح) وهو فعل كلامي مكوَّن من الجملة الفعلية والتي فعلها ماضٍ (مشت) وفاعلها ضمير مستتر تقديره (هي)، يعود على الدواوين، وقد أحال إليهما الضمير المستتر إحالة خارجية، وهي المشبّه، والمشبَّه به هي الأصباح، والأداة الرابطة هي الكاف ووجه الشبه بينهما هو الوضوح والجلاء، فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي غير مباشرة وهي الفخر، فتقديرها: أفتخرُ بوضوح انمياز أشعاري.الفعل التأثيري المرجو هو تنبيه المتلقي إلى الظلم الذي وقع على الشاعر وحثّه على رفعه عنه. وقوله: (الديوان: ٩٧/٥)

هذي الخلائقُ أسفارٌ مجسدةٌ الملهمون عليها كالعناوينِ

هنا خطاب الشاعر أيضاً موجّه إلى زعيم مدارس الأدب والنقد في عصره، فورد القول (الملهمون... كالعناوين) وهو فعل كلام من التشبيه؛ إذ شبّه الشعراء الملهمون بالعناوين في وضوحهم، فالمشبه الشعراء، والمشبه به العناوين، والأداة الكاف، ووجه الشبه المحذوف هو في الوضوح والجلاء، فحمل هذا الفعل قوة إنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير: أُخبرُك أنَّ الشاعر الملهم كالعنوان في وضوح صيته الأدبي. الفعل التأثيري المرتجى هو توجيه المتلقي بأن يكون منصفاً للشعراء. ونحو قوله: (الديوان: ٩٨/٥)

من ناكرٍ علماً تهدي الغواة بهِ حتى كأنْ لم يكن في الكاف والشينِ

يكمل الجواهري خطابه مع زعيم مدارس الأدب والنقد في عصره وقد مثَّل إنكاره لقوة شاعرية الجواهري ومن كون الجواهري علماً يُقتدى به ولا يمكن التقليل من شأنه إلى كأن لم يكن له وجوداً، فجاء فعل القول (من ناكر علماً... حتى كأن لم يكن) بقوة إنجازية مباشرة هي الإخبار، فالتقدير: أُخبرُك بشدة إنكارك ومحيك لوجودي، فالمشبه به هو الشاعر أحال إليه الضمير هاء الغيبة في (به)، والمشبه به هو عدم الكينونة، والأداة كأن، ووجه الشبه هو الآندراس. الفعل التأثيري المرجو هو توجيه المتلقي إلى ٱنصاف الشاعر والحول دون نكران جهوده الأدبية، وقد أفادت (كأنَّ) التخيل الذي نهض بالصورة الفنية (ينظر: إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل: ٢٥٠).١وقوله: (الديوان: ١٠٧/٥)

طبقتُ جفناً على جفنٍ لأبصرهُ حتى كأنَّ بريق الموت يعشيني

يتحدَّث الشاعر مع (دجلة الخير) عن طيف حبيبه، فجاء فعل القول (طبقتُ جفناً على جفن ... كأن بريق يعشيني)، وهو فعل كلام ناتج عن التشبيه بالأداة كأن، فالمشبه هو (طبقت جفناً على جفنٍ)، والمشبه به هو الموت، فشبّه الشاعر منامه بالموت ووجه الشبه بينهما هو العشق فحمل قوة إنجازية هي الوصف، فالتقدير: أصف لك منامي وما مرَّ بي من طيفٍ.الفعل التأثيري المرجو هو حمل المتلقي (كل من يسمع أو يقرأ) على التعاطف مع الشاعر والاقتداء به في الاعتزاز بالأصحاب وإن فرَّق بينه وبينهم النأي. ونحو قوله: (الديوان: ١٠٢/٥)

مثلُ الضرائرُ هذي لا تُطاوعني فأستريحُ إلى هذي فتؤويني

يوجه الشاعر كلامه إلى نهر دجلة، فشبّه أحاسيسه وما يُحيط به من أوضاع الغربة بالضرائر في عدم المطاوعة، فلا أحاسيسه تريحه، ولا أوضاع غربته قادرة على أن تنسيه مرارة البعد عن وطنه فورد فعل القول (مثل الضرائر... لا تطاوعني... فتؤذيني)، فهذا الفعل الكلامي له قوة إنجازية هي الإخبار فالتقدير أُخبرك بعدم مجاراة الامور لي .الفعل التأثيري المرجو هو تنبيه كل من يقرأ أو يسمع شعره إلى معاناة الشاعر وبالتالي حمله على الاقتداء به في عدم نسيان الموطن والعيش على ذكراه.حذف الجواهري وجه الشبه وهو في عدم الراحة، وفي الحذف يقول الجرجاني: (ت ٤٧١ هـ): ((تركُ الذكر أفصحُ من الذكر، والصيتُ عن الإفادة أزيدُ بالإفادة...)) (دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١١٢).

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات في قراءته لشعر الجواهري وتحليله وتأويله منها:

١. تنّوع الأحداث الكلامية المتأتية من التشبيه بأنماطه من بليغ ومرسلٍ وتمثيلٍ ومؤكدٍ ومجملٍ، لتنوّع أغراض الجواهري تبعاً لتباين مقاصدهِ.

٢. حملت الأفعال الكلامية قوًى إنجازية متنوّعة مباشرة وغير مباشرة تبعاً لاختلاف أفعال الكلام التي حملتها، فضلاً عن تنوّع سياقات الأحداث الكلامية.

٣. اختلاف المخاطبين فهم توزَّعوا بين (دجلة الخير)، و(زعيم الأدب والنقد في عصر الجواهري)، و(حبيبي الشاعر) اللَّذين غيبهما الموتُ.

٤. التشبيه بوصفه حدثاً كلاميًّاً ورد في ستةٍ وعشرين موضعاً في القصيدة، واستطاع حمل مقاصد الجواهري واستطاع إحداث تأثير في متلقيه وذلك يتضح من خلال كثرة الدراسات التي تناولت شعر الجواهري بالدراسة والتحليل.

٥. أثبت التشبيه في هذهِ القصيدة قدرتهُ على إنتاج أفعال كلام تُبقي أثراً في متلقيها.

مصادر البحث ومراجعه

١. الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود محمد، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٥م.

٢. إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، د.ت.
٣. التصوير المجازي – انماطه ودلالته – في مشاهد يوم القيامة، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد احمد الهاشمي، قرأه وضبطه وعلق عليه: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، منصورة، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، قرأه وعلَّق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط٣، ١٤٤٣هـ – ١٩٩٢م.
٦. الديوان، محمد مهدي الجواهري، جمعه وحققه وأشرف على طبعه: د. إبراهيم السامرائي، و د. مهدي المخزومي، و د. علي جواد طاهر، رشد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، العراق، ١٩٧٥م.
٧. الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، د.ت.
٨. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين، عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط١، ١٩٣٤م.
٩. اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٣م.
١٠. فن الشعر ورهان اللغة – بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، د. أحمد حيزم، دار محمد علي الحامي، صفا قس، ط١، ٢٠٠١م.
١١. لسان العرب، للعلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، أعشى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق، د. أحمد الحوفي، و د. بدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، (د. ت).
١٣. المجمل في فلسفة الفن، بند توكروتشة، ترجمة: سامي الدروبي، طبعة الاعتماد بمصر، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٧م.
١٤. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادهُ، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م.
١٥. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

المراجع

ينظر: فن الشعر ورهان اللغة بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، د. احمد حيزم: ٢٥٣(٢٠٠١م).
ينظر: التصوير المجازي – أنماطه ودلالته في مشاهد يوم القيامة، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني: ٣٤. (٢٠٠٤م).
الديوان: ١٠/٥.
الديوان: ١٠١/٥.
الديوان: ١٠٢/٥.
الديوان: ١٠٢/٥.
الديوان: ١٠٦/٥.
الديوان: ١٠٧/٥.
الديوان: ٨٣/٥.
الديوان: ٨٤/٥.
الديوان: ٩٣/٥.

الديوان: ٥/٩٣.

الديوان: ٥/٩٣.

الديوان: ٥/٩٤.

الديوان: ٥/٩٤.

الديوان: ٥/٩٥.

الديوان: ٥/٩٧.

الديوان: ٥/٩٧.

الديوان: ٥/٩٧.

الديوان: ٥/٩٨.

الديوان: ٥/٩٨.

الديوان: ٥/٩٩.

العمدة: ١/٢٣٦ – ٢٣٧.

الكامل في اللغة والأدب: ٣/٥٢.

اللغة الشاعرة، عباس محمود والعقاد: ١٧٩.

المصدر نفسه: ٥/١٠٤.

المصدر نفسه: ٥/١٠٦.

المصدر نفسه: ٥/١٠٧.

المصدر نفسه: ٥/٨٣.

المصدر نفسه: ٥/٩٠.

المصدر نفسه: ٥/٩٢.

المصدر نفسه: ٥/٩٤.

المصدر نفسه: ٥/٩٥.

نقد الشعر، لقدامة بن جعفر : ١٢٢. (ت ٣٣٧هـ).

جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي: ٢٤٧.

دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١١٢.

لسان العرب (شبه): ١٣/٥٠٥.

نقد الشعر: ٥٨–٥٩.

ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود محمد: ٥٧.

ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٢٢٤.

ينظر: المثل السائد: ٢/١٣٢.

ينظر: المجمل في فلسفة الفن، كروتشة: ٧٥.

ينظر: إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل: ٢٥٠.

ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ١٦٨.